ISSN: 2698 - 6159
ISSN (PRINT): 2699 - 2604

الافتتاحية

التحول المعرفي في فهم المكان: من الخرائط إلى الذكاء الجغرافي

لم يعد المكان صامتاً كما كان في خرائط الأمس، ولم تعد الجغرافيا ذلك العلم الذي يكتفي بوصف السطوح وتحديد المواقع. نحن اليوم أمام لحظة معرفية فارقة، يتحول فيها المكان من صورة مرسومة إلى كيان حيّ ينبض بالبيانات، ويتكلم بلغة التحليل، بل ويتنبأ بمساراته المستقبلية. إنها لحظة انتقال من "رؤية المكان" إلى "فهمه"، ومن "فهمه" إلى "استشرافه".

لقد شكّلت الخرائط، عبر قرون طويلة، الأداة الأولى التي صاغ بها الإنسان علاقته بالمكان. كانت إجابة واضحة عن سؤال "أين؟"، ومفتاحاً لفهم التوزيع المكاني للظواهر. لكنها، في جوهرها، ظلت تمثيلاً مختزلاً، تختار من الواقع ما يمكن رسمه، وتُسقط ما يتعذر تمثيله. فهي تجمّد الزمن، وتبسط التعقيد، وتمنحنا صورة توحي بالثبات، بينما الواقع يتشكل باستمرار في شبكة من التفاعلات المتغيرة. ومن هنا، لم تعد الخرائط التقليدية كافية لفهم مدن تتسارع فيها التحولات، ولا لأنظمة حضرية تتشابك فيها العوامل البيئية والاجتماعية والاقتصادية في نسيج بالغ التعقيد.

مع بزوغ نظم المعلومات الجغرافية، بدأت الجغرافيا تستعيد عمقها التحليلي، وتتحرر من حدود الوصف. لم يعد المكان مجرد سطح يُعرض، بل أصبح منظومة علاقات تُفكك وتُحلل وتُعاد صياغتها. انتقل السؤال من "أين؟" إلى "لماذا؟"، وبدأت المدن تُقرأ بوصفها أنظمة ديناميكية، لا مجرد كيانات مكانية ثابتة. ومع ذلك، ظل هذا التحليل – رغم قوته – أسير الحاضر، عاجزاً في كثير من الأحيان عن اختراق حجب المستقبل.

اليوم، ومع دخول الذكاء الاصطناعي إلى قلب الجغرافيا، نشهد تحولاً أعمق، يتجاوز التحليل إلى التنبؤ، ويتخطى الفهم إلى الاستباق. لقد أصبح بالإمكان أن نتساءل: ماذا سيحدث؟ كيف ستنمو المدن؟ أين ستتركز المخاطر؟ وكيف يمكن إعادة تشكيل الفضاء الحضري قبل أن تفرض الأزمات نفسها؟ إن الذكاء الجغرافي لا يقدّم مجرد أدوات جديدة، بل يعيد تعريف العلاقة بين الإنسان والمكان، ويحوّل التخطيط من فعلٍ تفاعلي إلى ممارسة استباقية واعية.

غير أن هذا الأفق الجديد، على اتساعه، ليس خالياً من التحديات. فالمكان الذي أصبح يتكلم بلغة البيانات، قد ينحاز إذا كانت بياناته منحازة، وقد يضلل إذا أُسيء تفسيره. وهنا تبرز مسؤولية العلم، ليس فقط في تطوير الأدوات، بل في ترسيخ أخلاقيات استخدامها، لضمان أن تبقى الجغرافيا علماً في خدمة الإنسان، لا أداة لإعادة إنتاج التفاوتات.

ISSN: 2698 - 6159
ISSN (PRINT): 2699 - 2604

إننا في مجلة التخطيط العمراني والمجالي نرى في هذا التحول أكثر من مجرد تطور تقني؛ نراه دعوة لإعادة التفكير في جوهر التخطيط ذاته. فالتخطيط لم يعد هندسةً للمكان فحسب، بل أصبح قراءةً للمستقبل، وصياغةً لاحتمالاته، وبناءً لمدن أكثر عدالة ومرونة واستدامة.

وهنا، يفرض السؤال نفسه بإلحاح:

إذا كانت الخرائط قد أرشدتنا إلى "أين نحن"، فهل يستطيع الذكاء الجغرافي أن يقودنا إلى "أين يجب أن نكون"؟

ذلك هو التحدي... وتلك هي أفق المرحلة القادمة.

أ.د. فواز أحمد الموسى

رئيس التحرير